مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٤: ٢٢–٢٧)

يا إخوةُ إنَّه كان لإبرهيمَ إبنانِ أحدُهما من الجاريةِ والآخرُ من الحرَّة* غيرَ أنَّ الذي من الجاريةِ وُلِد بحسبِ الجسدِ أمَّا الذي من الحرَّة فبالموعِد* وذلك إنَّما هو رمزٌ. لأنَّ هاتين هما العهدانِ أحدُهما من طورِ سيناءَ يلِدُ للعبوديَّةِ وهو هاجَر* فإنَّ هاجَر بل طورَ سيناءَ جَبَلٌ في ديارِ العرَبِ ويُناسِبُ أورشليمَ الحاليَّة. لأنَّ هذه حاصِلةٌ في العبوديَّةِ مع أولادِها* أمَّا أورشليمُ العُليا فهي حرَّةٌ وهي أمُّنا كُلِّنا* لأنَّه كُتِبَ إفرحي أيَّتها العاقِرُ التي لم تَلِد. إهتفي واصرخي أيَّتها التي لم تتمخَّضْ. لأنَّ أولادَ المهجورةِ أكثرُ من أولادِ ذاتِ الرجُل.

إن كنت أنت هو فمُرني أن آتي إليك

إن الإنسان لم يُخلق ليعيش في الآلام والشهوات الرديئة أو الدموع والمصالح الرخيصة، التي هي ثمار إرادته الضعيفة، التي تبعده عن الله وتقطع كل علاقة بينه وبين الخالق.

لم يكن في الأساس هذا هو القصد الإلهي من عملية الخلق، بل على العكس، أراد الله من خلالها أن يكون الإنسان شريكاً له في الألوهة، على صورته ومثاله. لقد خلق الله الإنسان ليجعل منه هيكلاً للروح القدس، أي هيكلاً لذاته يقيم فيه ويستريح.

كيف يصبح الإنسان هيكلاً للروح القدس؟ لقد أراد الله لهذا الأمر أن يحصل وفقاً لناموس الطبيعة البشرية. فكما أن الوالدين يعطيان جسداً يشبههما، هكذا الله ينفخ من نفسه في الإنسان نفساً حية فيحيا. وكما أن جسد الإنسان بدون النفس يموت، هكذا النفس التي لا يمتلكها الروح القدس، التي لا تكون مسكناً للروح القدس، تموت أمام الله. والإنسان بحريّته يكرّس ذاته لله، يعطيه روحه، يتخلّى عن كل شيء له في ذاته، يُفرغ ذاته من كل أشياء الدنيا ليجعل نفسه هيكلاً للروح.

إن هذا صعبٌ جداً تقولون. كيف نستطيع أن نتخلّى عن ذواتنا ونعطيها لله؟ كيف نتدبر أمور حياتنا؟ كيف نحلّ مشاكلنا المستعصية؟ وبالأخص كيف نترك له أن يتدبّر كل شيء ونحن نعاني المصاعب وسفينة عمرنا تكدّها الأمواج وهو عنها غائب لا يجيب أو يستجيب؟

العدد ٣٠/٢٠١٠

الأحد ٢٥ تموز

رقاد القديسة حنة

أم والدة الإله

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

«ثقوا أنا هو لا تخافوا». هكذا يقول الرب للتلاميذ. ولكن كيف ذلك وأنت أشبه بخيال يا ربّ والعاصفة تكسّر مراكبنا والغرق يُدركنا؟ على كل حال إن كنت أنت هو، فخلّصنا... أخرجنا من السفينة التي تكاد تغرق... مُرنا أن نأتي إليك... أو هدّئ أمواج العمر العاتية.

هذا الحوار بين السيّد وتلاميذه مهم جداً. إنه يشبه حديثنا اليومي معه. هو يدعونا لأن نثق به ونحن نراه خيالاً بعيداً. ومع ذلك نستعجله

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢-٣٤)

في ذلك الزمان اضطرَّ يسوعُ تلاميذَه أن يدخلوا السفينةَ ويسبقوه إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموعَ* ولمَّا صرف الجموعَ صعِدَ وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسَطِ البحر تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعَةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآهُ التلاميذُ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّه خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إنْ كنت أنت هو فمُرْني أن آتيَ إليك على المياه* فقال تعالَ* فنزل بطرسُ من السفينة ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلما رأى شِدَّةَ الريحِ خاف وإذ بدأ يغرَقُ صاح قائلاً يا ربُّ نجّني. وللوقتِ مدَّ يسوعُ يدَهُ وأمسك به وقال له يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمَّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريحُ*

أن يأتي ليخلّصنا لأننا نكاد نغرق في مصاعبنا وخطايانا... وقد يتأخر... أو أنه لحكمة لديه لا يستجيب.

لنتمعن في جواب بطرس للرب. يقول له: «إن كنت أنت هو» بما معناه أن بطرس لا يريد خلاصاً إلاّ عن طريقه وبواسطته وحده. هذا يعني أيضاً أن بطرس لا يريد إلهاً سواه وبألوهيته وحده يعترف. كما يعني أيضاً أن بطرس الذي اختار أن يتبع يسوع، أن يكرّس نفسه ليسوع مستعدّ أن يقبل النجاة والحياة، كما الموت بحسب مشيئة يسوع.

يضيف بطرس: «مُرني أن آتي إليك ماشياً على المياه» ولعل بطرس اختار بذلك ما هو أصعب من الغرق أو الموت. لقد اختار المستحيل، طاعة ليسوع لكونه مُكرّساً له بالكليّة. لذلك بدأ بالسير على المياه. لقد استطاع البدء بالسير على المياه لأن وجهته كانت يسوع المسيح. ما قد يبدو لنا مستحيلاً في حياتنا الروحية، ما قد يبدو مستحيلاً لنا، أن نكون هياكل للروح القدس، ممكن إن كان المسيح قُبلة سيرنا.

بطرس الصياد كان بالطبع سبَّاحاً ماهراً ومع ذلك خاف من شدّة الريح وخشي الغرق. عندما رفع عينيه عن يسوع وتطلّع إلى الموج العاتي بدأ يغرق. هكذا نحن الذين نجاهد في حياتنا الروحية، نخاف كثرة خطايانا ونستهول بشاعتها ونحسب أننا أضعف من أن نتغلّب عليها، وبدل أن ننظر إلى وجه يسوع لنأخذ منه قوّة، نتطلّع إلى قباحاتنا فنسقط في الشك واليأس ونغرق.

هلمّ يا سيّد وأمدد يدك وانتشلنا من كثرة السيئات لأننا إليك نلتجئ طالبين الخلاص. اجعلنا أهلاً لملكوتك، واسكن فينا وطهّرنا من كل دنس وخلّص أيها الصالح نفوسنا.

مدارس بيروت

مساء الأربعاء ٧ تموز أقيم في مدرسة البشارة الأرثوذكسية حفل تخرّج مئة وسبعة وسبعين طالباً وطالبة من مدارس أبرشية بيروت الثانوية. للمناسبة كانت لسيادته الكلمة التوجيهية التالية:

«أيها الأحبة، فيما تودّعون مرحلةً من عمركم، سوف تكتشفون لاحقاً أنها الأجملُ في حياتكم، وتتهيأون للدخول إلى الجامعة، لا تنسوا ما أنشأَتْكم عليه مدارسُكم من قيم وأخلاق وسلوكيات حسنة لتكون زاداً لكم في حياتكم. ولا تنسوا أيضاً ما حصّلتموه من علم ومعرفة هما أساس ما ستبنون عليه لاحقاً من علوم واختصاصات.

لكن العلم وحده لا يكفي والإختصاص وحده لا يبني الشخصية، لأن الإنسان الخلاّق، المبدع، هو الإنسان المثقف الذي جمع، إلى العلم والإختصاص، ثقافةً وسَّعَت آفاقه وبَنَتْ نفسه وهذّبت تفكيره ورهّفت حسّه ونمّت فيه هذه الجرثومة المحمودة وحدها من بين الجراثيم، ألا وهي جرثومة الإبداع.

في أيامنا نحن، كان التلميذ يتعلّم في المدرسة إلى المواد المقرّرة في البرنامج الرسمي أموراً تساعد على تفتّح نفسه ونموّ شخصيته. كانت المدارس تنشئ طلابها على حب الموسيقى والرسم والشعر وتدفعهم إلى المطالعة وإلى ارتياد

فجاءَ الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله* ولمّا عبروا جاءوا إلى أرض جَنّيسارَتْ.

تأمل

«ولمّا صرف الجموع صعد وحده إلى الجبل ليصلّي».

لا تقل لي إنك دائم الانشغال بمشاكل الحياة ولا يمكنك أن تهرع كلّ حين إلى الكنيسة وأن تصلّي اليوم كلّه. لنفترض أنّك لا تستطيع أن تذهب إلى الكنيسة، لكنّك تستطيع أن تنصب مذبحك أينما كنت حيث أنّه لا المكان ولا الساعة يمنعانك. حتى إن لم تركع ولم تبكِ ولم ترفع يديك إلى السماء، فإنّ صلاتك ستكون كاملة طالما لديك فكرٌ حارّ. أنت يا مَن تمشي على الطريق، وأنت يا مَن تكون في السوق، أو تسافر بحراً، أو تجلس في مشغلك، أو تطبخ في بيتك، أو تحرث في حقلك أو تنشغل في أيّ عمل آخر، عندما لا تستطيع أن تأتي إلى الكنيسة، أقِمْ حيث أنت صلاةً يقظة وطويلة. الله لا يهتم للمكان، إنه يطلب فقط حرارة القلب وطهارة النفس. لم يصلِّ القديس بولس في المعبد ولم يكن راكعاً أو واقفاً، بل كان مرمياً في السجن منطرحاً

المسارح الراقية والمعارض، والتفاعل مع كل فن وفكر وثقافة. وكانت هذه المسيرة تكتمل في أيام الجامعة، فيتخرّج الطالبُ من الجامعة وفي جعبته، إلى الإختصاص الذي اختاره، ثقافةٌ واسعة تجعل منه إنساناً واسعَ الأفق، بعيدَ الرؤية، يتفاعلُ مع محيطه عوضَ الإنكفاء على نفسه وحَصرها في دائرةٍ ضيقة حدودُها ما اختاره من علمٍ واختصاص. إنّ كونَ المرء أكاديمياً لا يتعارض مع كونه مثقفاً.

هل ينطبق هذا الوصف على شباب اليوم وشاباته؟ الظاهر أن الجواب لا، وللأسف. اليوم ينصرف الشابُ أو الشابةُ إلى التحصيل في الإختصاص المحدَّد الذي اختاره أو اختارته، وقد لا يتوقف الواحدُ منهم عند حدود، إنما في مجال اختصاصه، فنراه بارعاً في الكيمياء مثلاً إنما لا يُحسنُ التعبيرَ عن نفسه بجملة واحدة مفيدة باللغة العربية، وقد يكون مجلياً في حقل الإتصالات أو في مجال الهندسة أو الطب أو غيرها من الإختصاصات لكنه لا يعرف شيئاً عن الأدب، أدبنا أو الأدبِ العالمي، لا يعرف شيئاً عن تاريخ الوطن أو تاريخ العالم، لا يعرف شيئاً عن الرسم أو لا يهتم للشعر أو لا يتذوق الموسيقى أو لا يكترث للبيئة، وإذا أراد أن يكتب نصاً تراه مليئاً بالأخطاء، لأن الكتابةَ ليست من اختصاصه، وإن أراد أن يلقي كلمةً يتعثرُ في كل جملة. والأهم من هذا كلّه أنه قد لا يُحسنُ التواصلَ مع أترابه.

وما هو أشد إيلاماً هو تعلّق جيل اليوم بالكومبيوتر الذي أصبح رفيقهم الدائم يحملونه أنّى ذهبوا ويركنون إليه أنّى حلّوا. وعوض تبادل الآراء مع الأصحاب، وعوض بحث الموضوعات المختلفة من إجتماعية وثقافية وفنية وغيرها مع الزملاء والأصدقاء، ينصرفون إلى شبكة الإنترنت يفتشون عبرها عما يهتمون به من موضوعات، ويتعلّمون منها ما يبتغونه من معلومات. ولن أناقش الآن صحة ما تعطيه هذه الشبكة، لكنني أود التشديد على أن شبكة الإنترنت هي آفةٌ اجتماعية إن أُسيء استعمالُها، لأنها تبعد الإنسان عن الإنسان، تماماً كما فعلَ الإختراعُ الآخر الذي سبقها إلينا: التلفزيون. فَقَبْلَ التلفزيون كان أفرادُ العائلة يتحادثون، يتناقشون، يتبادلون الآراء ويختبرون المحبة ويتشاركون الهموم. وكانت الحياةُ الإجتماعية ناشطةً بين الأقارب والجيران. أما بعد دخول التلفزيون إلى البيوت فقد أصبح لكلّ فرد برامجه المفضلة التي تلهيه عن سائر أفراد العائلة، وأصبح لكل فرد تلفزيونه الذي يركن إليه ليشاهد برامجه بعيداً عن الآخرين، كما أصبح لكل فرد هاتفُه المحمول الذي لم يعد يطيق العيش بعيداً عنه. وقد اكتملت الحلقة مع دخول الإنترنت حياة البشر فأصبح بعض الأفراد يكتفون بهذه الوسائل التي تؤمّن لهم الإتصال بالعالم الخارجي، ولم يعودوا بحاجة إلى دفء العلاقات الإنسانية وإلى غنى التواصل الفكري وحلاوة النقاش الثقافي.

الإنسانُ الذي يعيش بمفرده إنسانٌ ضيقُ الآفاق مهما اتسعتْ معرفتُه في حقل اختصاصه ومهما أمّنت له شبكة الإنترنت من تواصل. الإنسانُ بحاجة إلى الإنسان الآخر، لذا خلق الربُّ الإله حواءَ لتكون شريكةً لآدم ورفيقة: «وقال الربُّ

على ظهره، لأنّ قدميه كانتا مقيّدتين في المقطرة، لكن لأنه صلّى بحرارة، مع أنّه كان مطروحاً أرضاً، اهتزّ السجن وتزلزلت أساساته، واهتدى حارس السجن إلى الإيمان الحقيقي مع عائلته كلها (أع ١٦: ٢٥–٣٥).

حزقيّا المريض توسل الله من أجل شفائه ولم يكن واقفاً ولا راكعاً بل كان ممدَّداً في السرير، الذي كان قد أعلن له النبي اشعياء مُسبقاً أنه سيموت عليه. لقد تمكّن بطهارة قلبه وحرارته من تغيير القرار الإلهي (٢ مل ٢٠: ١–٦)، واللص المسمّر على الصليب أيضا ربح ملكوت السموات بكلماتٍ قليلة (لو ٢٣: ٤٢–٤٣)، ودانيال في جبّ الوحوش (دا ٦: ١٦)، ويونان في بطن الحوت (يون ٢: ١–٢)، عندما صلّوا بحرارة نجوا من المخاطر التي صادفتهم ووجدوا المعونة من الله.

قد تسألني: «وماذا سأقول عندما أُصلّي؟»؛ ستقول ما قالته الكنعانية في الإنجيل عندما كانت ترجو الله: «إرحمني يا ربّ، ابنتي يعذّبها الشيطان» (مت ١٥:٢٢). سترجو الله أنت أيضاً قائلاً: «إرحمني يا ربّ، نفسي يعذّبها الشيطان»، لأن الخطيئة شيطان كبير.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الإله: ليس جيداً أن يكون آدمُ وحده، فأصنعَ له معيناً نظيرَه» (تك ٢: ١٨). الإنسانُ بحاجة إلى تبادل الآراء والخبرات مع الآخر، بحاجة إلى الخروج من نفسه نحو الآخر، بحاجة إلى التعبير عن نفسه بالكلمات، نثراً وشعراً، وبالأحاسيس والفنون والأفكار. وكلما زادت ثقافةُ الإنسان واتسعت معرفتُه، كلما رقّت طرقُ تعبيره وارتقت. أليست الموسيقى من أرقى طرق التعبير عن النفس السعيدة أو المتألمة أو الحزينة؟ والشعر والأدب والرقص وسائر الفنون الراقية، أليست كلّها تعبيراً جميلاً عن الذات البشرية المخلوقة على صورة الله ومثاله؟ والتخاطب الراقي بين البشر (عكس ما نسمع في أيامنا) والمحادثة الصافية بينهم والتواصل الصادق والحوار الهادئ الذي يعترف بالآخر ويحترمه رغم الإختلاف، أليست كلّها طرقاً للتعبير عن النفس الحساسة المرهفة.

لأجل تهذيب النفس وازدياد رقتها، عليكم إلى جانب التحصيل العلمي، الإنصراف إلى تثقيف النفس بشتى الطرق، وعدم الإكتفاء بمادة الإختصاص. الثقافة تبني الإنسان وتؤدي به إلى الإبداع. سنواتُ الدراسة قد تنتهي لكنّ الثقافة لا حدود لها، كالإبداع، وهي وحدها تحرّر النفسَ وتُطلقها من كلِّ ما يُكبّلها. الدراسةُ المدرسية والجامعية ضرورية للتأسيس ولهيكلة البناء الفكري. هي بمثابة العظام للجسد. لكنّ ما تبقى يأتي من الثقافة. فاغرفوا من معين الثقافات الآتية من أطراف العالم. إقرأوا تجاربَ الآخرين وعُصارةَ أفكارهم. طالعوا الكتب بشتى اللغات، تعرّفوا على الفنون، عوّدوا أنفسكم ارتياد المسارح التي تُلعب فيها المسرحيات الممتازة العريقة، ترددوا على المعارض ودرّبوا آذانكم على سماع الموسيقى الراقية. اعتادوا السير في الطبيعة والتعلّم منها، من العصافير التي تزقزق فرحاً، والحيوانات التي تعدو حرّة والأعشاب التي تنبثق بتواضع من شقوق الصخور، والأشجار التي تنمو شاهقة نحو العلا. تعلّموا الحفاظ على البيئة التي تعيشون فيها وعلى الأنظمة التي تُسيّر الكونَ الذي خلقه الله، وعلى القوانين التي تُسيّر حياة البشر. تعلّموا احترام أنفسكم واحترام الآخرين. وقبلَ كل هذا تعلّموا أن تشكروا الله على كل شيء وأن تمجدوه في كل حين.

باركَكم وأغدق عليكم نِعَمه السماوية لتكونوا نوراً للعالم وملحاً في الأرض، فيمجدُ كلُّ مَن رآكم اسمه القدوس.

كتاب البراكليسي

صدر عن دار المطرانية كتاب خدمة صلاة البراكليسي، أي التضرّع لوالدة الإله، التي تتلى أيام صوم السيدة في شهر آب. يُطلب الكتاب من كافة كنائس الأبرشية ومن مكتبة الرجاء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb